

الحرب والسياسة

الرسالة العاشرة

القدس في ١٦ آذار سنة ١٩٤٢

ايها القارىء العزيز

اراني مضطراً ان افتتح رسالتي هذه اليك بالتحدث عن معركة الربيع المقبل التى اكثرت الصحف والبرقيات فى الاسبوع الاخير من الافاضة فيها ، لأن الربيع أوشك ان يحل فى جنوب روسيا . واحسب انى شرحت لك فى رسائلى السابقة ما اراه من قدرة المانيا على مواصلة القتال ، وعجزها عن السير فى الحرب بعد قليل ، بمثل القوة والاندفاع اللذين رأيناهما فى الهجوم الاول على روسيا . ولست اريد ان ازيدك شرحا وايضاحا ، أو ان اعيد عليك ما قرأته فى الصحف اليومية او ما سمعته من محطات الاذاعة؛ الا انى اود ان اقدم بين يديك ارقاما بسيطة تظهر لك الفرق العظيم بين قوة المانيا العسكرية من قبل وقوتها التى تعدها للمعركة المقبلة .

يقولون ان هتلر أعد خمسة ملايين ونصف مليون جندي من الالمان وارغم رومانيا وبلغاريا والمجر على تقديم ربع مليون آخرين . كل هذا محتمل . اذ فى وسع هتلر ان يحشد الشيوخ والكهول ويسوقهم الى ميدان القتال ! ولكن هل تدري عدد الجيش الذي أعده ستالين ؟ يقولون ايضاً انه حشد عشرة ملايين ودربهم على القتال فى اماكن بعيدة عن الغارات الجوية او غيرها من الاعمال التى تعرقل التدريب والحشد . واغلب الظن ان هذا الجيش العرمرم سيتولى الاعمال الحربية فى فصلي الربيع والصيف القادمين ، فاذا حل الشتاء

فصل الربيع ، يفتح عيونهم الى الخطر المدلهم القادم والنكبات المروعات التي سيصبها سلاح الجو الملكي البريطاني عليهم ، وهو السلاح الذي ينمو ويزداد يوما عن يوم حتى سيطر على اجواء اوروبا الغربية ولم يقو على الوقوف في وجهه سلاح المانيا الجوي الذي تضاءل مؤخراً ولهذا قلت ان الغارة على مصانع رينو وتدميرها — وقد اعترفت بذلك دوائر فيشي — من اقوى الادلة على ان المانيا ستلاقي الهول في الربيع القادم ، فتعجز مصانعها عن امداد الجيوش في الجبهة الشرقية بالاسلحة والعتاد ، وستقضي القنابل البريطانية على البقية الباقية من جلد الالمان وقوتهم المعنوية . وهذا لعمري السبب الذي حمل غوبلز على مناشدة الشعب تحمل التضحيات والصبر على مكاره الحرب الطويلة .

فلندع الالمان يتشدقون كثيراً باستعداداتهم الكثيفة وقواتهم الضخمة ولنتحدث قليلا عما يلاقونه اليوم في روسيا من المهالك . فالجيش الاحمر يفتك فيهم فتكا ذريعا ويقصيهم عن المواقع التي احتلوها ويكبدهم خسائر هائلة . والعصابات الروسية تقوم باعمال تشبه المعجزات وتحطم اعصاب العدو وتقطع مواصلاته وتدمر مستودعاته وبات من المؤكد ان يقضي الروس على الجيش السادس عشر الالماني المحصور في ستارايا روسيا قضاء مبرما . ولعل احدث الاسلحة التي استخدمها الروس في هذه الحرب هي « مدمرات الانزلاق » التي هي سيارات مصفحة محملة على اجهزة الانزلاق فوق الثلج ، وتسير بواسطة محركات هوائية بسرعة ستين ميلا في الساعة فوق الجليد . ولديهم من هذه المدمرات آلافاً اثبتت كفاءتها وحسن بلائها في القتال . اذ تتوغل في داخل الخطوط الالمانية وتدمر اهدافها ثم تعود

وفي كل جبهات القتال بالميدان الشرقي هزائم وانكسارات للالمان ، واحسب ان القارىء يوافقني على القول بان هذه الهزائم لا يمكن لشعب ان يحتملها طويلا وبالاخص اذا كان شعبا فقيراً في ماله ومعادنه ومواده

دخلت الميدان قوات جديدة مستريحة .

ويقولون ايضا ان هتلر نقل مقر قيادته من سمولنسك الى كييف. ويستدلون ، بهذا النقل ، على انه ينوي توجيه ضربته المقبلة الى الميدان الجنوبى حتى يتمكن من احتلال الاراضى الغنية بالبترول !

ويقولون ايضا انه اصبح عصبي المزاج الى درجة عظيمة ، وان شعر رأسه ابيض كله تقريبا ، وانه اضطر الى لبس النظارات بسبب ضعف بصره وقواه . ولا اجد ما يفيد القارىء كثيراً من الاقوال المختلفة ، المتعلقة باستعدادات هتلر . وما انكر احد انه يستعد ، وانه يقذف برجال الالمان الى الفناء والاضمحلال. ولاي سبب ؟ لكى يعزز مكانته ويقي عرشه المبنى على الجماجم من الانهيار . فحملة الربيع ما هي الا جنون يتبعه الانتحار لأنها لن تسفر فى النهاية الا عن هزائم وخسائر تشيب لفداحتها الولدان ، ولا اغالي اذا توقعت لها الفشل السريع ، فالجيش الذي حشده هتلر لايقاس بالجيش الذي فقده من حيث التماسك والتدريب ، وجنوده ولا شك اكبر سناً من الذين هلكوا فى فيافي روسيا ، ولن تكون لديهم المعدات القوية الكثيرة التى كانت للذين سبقوهم الى الفناء . وهتلر مضطر فوق ذلك الى تمويه هذا الجيش بالقوت والعتاد والاسلحة ، ومن اين له القوت بعد ما استنفد ما لدى المانيا والاقطار المحتلة؟ ومن اين له الاسلحة وقد استحال عليه الحصول على المواد الاولية ؟ ان الالمان وابناء الاقطار المحتلة يتضورون جوعا ويعانون ضائقة اشد مما عانوه فى الحرب العظمى الماضية حملت رجال النازية على تغيير اللهجة التى اعتادوا مخاطبتهم بها . ونحن ما زلنا نذكر كيف كان هتلر وغورنغ وغوبلز يتفاخرون بانهم قضوا على بريطانيا ودكوا اسسها وكادت تصبح مستعمرة المانيا . اجل قالوا هذا واذاعوه في ارجاء العالم فى سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤١ — اما اليوم فاسمع الى هذا الاعتراف ، بل انظر الى هذه الاعجوبة :

كتب غوبلز وزير الدعاية مقالا في جريدة (داس رايخ) الالمانية لفت فيه انظار الشعب الالماني الى ما ينتظره من نضال طويل اذا ارادت المانيا ان تكسب الحرب ثم قال : « لا يخفى على كل الماني

الاولية واغذيته . ومشكلة المواد الغذائية والاولية فاقت فى تعقدها كل حد، وزادها شدة وقسوة تفشي الامراض الناشئة عن قلة الاطعمة الكافية والاوبئة التي تفشت بين الجيش والسكان المدنيين كالتيفوس والكوليرا والطاعون ، واذا المانيا القيصرية قد جاعت في السنة الثانية من الحرب الماضية وكانت أغنى واقدر على استيراد المواد الغذائية ، فكيف تكون حالة المانيا النازية اليوم ؟

حاول هتلر ان يستعين باصنام لقضاء مآربه فى الاقطار التي احتلها فاوجد حكومات من العدم اعضاؤها لعبات فى يده . فما استفاد غير ازدياد النقمة عليه وعلى اساليب حكمه المباشرة وغير المباشرة . وأي حكم ؟؟ انه اقسى ماعرفه التاريخ ، فهو ينتقم من الابرياء ويبطش بالآمنين ، واعدام الرهائن افظع سبة ستخلدها الاجيال القادمة . وفي الاسبوع الاخير ارتكب الالمان من الموبقات فى فرنسا والنرويج ما تقشعر له الابدان وتبرأ منه الانسانية ، وماكانت اعمالهم كلها الا من هذا القبيل الذي تتقزز منه النفس وينفر منه الطبع . اما الناحية الصناعية التي امل هتلر الحصول عليها من الاقطار المحتلة فجاءت نتائجها مخيبة لذلك الأمل الى اقصى الحدود ، لأن المعامل التي شغلها والعمال الذين سخرهم كانوا ، فى اكثر الاحيان وبالا على الالمان من جراء التخريب الذي لجأوا اليه والتخريب سلاح المقهورين الذين لايستطيعون شهر السلاح فى وجه مغتصب بلادهم !

ومن الحقائق التي تزيد فى بؤس الالمان والاقطار المحتلة معا ان هتلر ارغم على سحب عدد هائل من عمال المصانع والمزارع الى ميدان القتل ، فنقص الانتاج الحربى والمحصول الزراعى وبلغت المجاعة والفاقة حداً لايوصف . ومن المحال ان تتمكن النساء وحدهن على القيام باعمال الرجال وبالاخص في الصناعة الثقيلة . زد على ذلك ان العمال الاجانب الذين جيء بهم ليحلوا محل الذين ارسلوا الى الجبهات لن يتأخروا — اذا سنحت لهم الفرصة — عن تعطيل العمل وافساد الانتاج .

اننا اذا خسرنا الحرب ، فقد خسرت المانيا كل شيء سياسياً وحربياً واقتصاديا . وان خسارة الامة تقع على كاهل الافراد ايضاً ، وليس القتال مقصوراً على الجبهـة الحربية ، لـكنه ناشب في صميم ارض الوطن وخلف خطوط النار ، فليذكر الشعب اننا في حرب ، وان هذه الحرب تشمل جميع الافراد ، ولذلك بات من واجب كل واحد رجلا او امرأة ، ان يبذل اجل التضحيات »

يا سلام ! . . . اين ذهبت تلك الدعاوى الطويلة العريضـة بان بريطانيا انهارت ؟ واين تلك اليمين الغموس التي اقسموها بان هتلر سيشرب الشاي في قصر بكنغهام بلندن يوم ٢٠ آب ١٩٤٠ ؟ واين الوعود الـكثيرة التي قطعوها للشعب الالماني بالنصر القريب والحرب القصيرة ؟ كنا نظن ان الشمس ستغير مجراها قبل ان يتراجع النازيون عن غرورهم وادعاءاتهم الفارغة ، فاذا بغوبلز وغيره من الاقطاب يضطرون الى العدول عن اكاذيبهم المعروفة ويصارحون الالمان ببعض الحقيقة . اقول بعض الحقيقة ، لأن زعمـاء النازية لم يطلعوا الشعب على حقيقة النكبة التي اصابته في مختلف الميادين ولم ينشروا الارقام الصحيحة عن الخسائر في الارواح والعتاد ، ولم يعترفوا حتى الآن بان ما اصابهم في روسيا والاطلنطيكي وليبيا كان هزائم منكرة . واغلب ظني ان التوسع في اخبار الاستعداد لمعركة الربيع ، قد يعمد النازيون الى نشره في المانيا بشـكل جذاب ، اذ يرجون من وراء ذلك تضليل الشعب وايهامه بالنصر ، وما دروا ان كل اسرة في المانيا اليوم منكوبة بفقد احد ابنائها . ونسوا ان الدول الديمقراطية غير نائمـة وهم وحدهم الذين يستعدون . وجاءت الغارة البريطانية على معامل رينو الفرنسية الواقعة في ضواحي باريس التي تمد الالمان بالطيارات والدبابات ، نذير شؤم للالمان في مطالـــع

ويقف الى جانب المانيا الآن دويلات صغيرة صناعتها ضعيفة وانتاجها محدود ولكن في الصف المقابل ، نجد شعوب الارض كلها تقريبا قد عقدت العزم على الاستمرار فى الكفاح والنضال حتى يزول طغيان النازية وآثارها من عالم الوجود ، وهاهم ابناء الشعوب في اميركا يؤلفون فى الوقت الحاضر جيشاً زاخراً للاشتراك في قتال الديكتاتوريات فى الشرق والغرب ، وتقدم لهم المصانع الاميركية مايحتاجون اليه من اسلحة وعتاد ، وفى وسع الانسان ان يؤكد ان الولايات المتحدة قادرة على ان تغمر العالم كله اسلحة فمعادنها كثيرة ومن أجود الانواع ، وصناعتها متقنة ، واموالها وافرة ، والايدي العاملة موجودة وهي تحول اليوم جميع مصانعها التي كانت تنتج حاجات المدنيين الى مصانع حربية وقد دلتنا الانباء الاخيرة على ان برنامج التسلح الذي طلب الرئيس روزفلت تنفيذه سيزيد عما كان مقدراً له سواء فى الطيارات او الدبابات او المدافع او السفن وها هى القوات الاميركية ترسل نكامل معداتها الى جميع ميادين القتال وتصل الى اهدافها سالمة بفضل قوة الاسطولين البحري والجوي . ونلاحظ كذلك ان قوة صغيرة فى جزيرة «لوزون» وقفت فى وجه الغزو الياباني هذه المدة الطويلة واستطاعت ان تلحق بالغزاة افدح الاضرار ، حتى انتحر القائد الياباني . وكان انتحاره اكبر دليل على فشله .

وانا شخصيا — استناداً الى التجارب السابقة فى الحرب الحاضرة — لا اعتقد ان الموقف فى الشرق الاقصى يدعو الى التشاؤم رغم حرجه . فقد سبق للجيش الالماني ان اجتاح وروبا

دون ان يلاقى مقاومة عنيفة تكبده خسائر فادحة ، حتى خيل لقصار النظر انه منتصر لامحالة فارض العبودية الجرمانية على جميع الشعوب وتقدم اليابانيين واستيلاؤهم على كثير من الاراضي ، لم يكونوا هينين سهلين ، رغم تفوقهم فى العدد والمعدات ، اذ كانوا يدفعون ثمنا غالياً لكل شبر من الارض يحتلونه . وكانت خسائرهم فى اسطولهم وسفن نقلهم اكبر مما يحتملون ، واثبتت القطع البحرية والطيارات المتحالفة مهارة منقطعة النظير فى اصابة اهدافها وتحطيم اسلحة العدو.

ويرى الخبراء ان استمرار خسائر اليابانيين على هذا الشكل مدة سنة كاملة ستجعلهم عاجزين عن متابعة الحرب ، اذ لايكون فى طاقتهم تعويض ماخسروه . واعتقد ان اليابانيين اكثر شبها بالالمان من الشعوب الاخرى فى طبائعهم وخططهم العسكرية . فهم يريدون حربا قصيرة الأجل لأن مواردهم لاتحتمل حربا طويلة ، ثم يرغبون فى السرعة والاندفاع القوي دون ان يكون لهم احتياطي يسد النقص او يحمي خطوط المواصلات ، ولما نووا مهاجمة الصين اعلنوا ان هذه الغزوة لاتعدو ان تكون نزهة لاتزيد على بضعة اسابيع ، وها هي السنة السادسة توشك ان تمضى دون ان يتمكنوا من قهر الصين . بل انا نرى الصين تحسن اغتنام الفرصة فتكيل للغزاة ضربات قاصمات وتنتزع منهم المقاطعات التى احتلوها من قبل .

بل ان الحوادث الاخيرة فى الشرق الاقصى تؤيد امرين اثنين : الاول ان الحلفاء اخذوا يستردون السيطرة على البحر والجو ، لكثرة ماوصل اليهم من الامدادات ، ومتى اتموا حشد

الصحيحة ولهذا كان مستقبلنا نحن العرب ، متوقفاً على انتصار الديمقراطية وحده . فمن واجبنا القومي اذن ان نساهم فى هذا النضال الى جانب الشعوب الحرة حتى نحول دون وقوعنا بين ايدي اعداء الانسانية والدين والمدنية . وفى الوقت ذاته نحقق آمالنا ونعيش فى أمن وطمأنينة تربطنا بالامم جميعاً عقيدة موحدة ومعاهدات قائمة على اساس التفاهم والرضاء المتبادلين .

ولا ننسى ان بريطانيا عاملتنا نحن العرب بجودة واخلاص وسخاء ولم تأل جهداً فى تقديم المساعدات السياسية والاقتصادية والثقافية لمختلف اقطارنا ، بل انها لم تقصر فى تفضيل امور اعاشتنا على كثير من المشاريع . وقد عرفت ايها القارىء العزيز انها قدمت القمح والدقيق الذين جلبتهما لقواتها ، الى حكومة مصر حتى تحل مشكلة التغذية فى القطر الشقيق ، وقدمت مساعدات جليلة الشأن للاقطار العربية والشرقية وساهمت فى كل مشروع عمرانى يعود على هذه الاقطار بالخير والبركات ، وكانت جهودها فى فلسطين اسخى واعظم فالبرامج الانشائية تنفذ على التوالى ومكافحة الملاريا والامراض قوية واسعة النطاق ، والاجور مرتفعة ، وقد منّ الله تعالى علينا بمطر غزير جعل الموسم الزراعي خصباً جداً ، والمأمول ان تكتفي البلاد — بفضل القروض المالية الوافرة والهبات الكبيرة التي قدمتها الحكومة — بحاصلاتها الخاصة بعد قليل ، واذا هناك نقص جلبته السلطات البريطانية ووزعته على السكان . وقد نجحت فى مقاومة المحتكرين والاستغلاليين لكنها فى حاجة الى مساعدتك ايها المواطن حتى يكون نجاحها كاملا .

وفى يقيني ان الاحوال المستقرة الحادثة لا ننعم بها نحن اهل

قواتهم عرفوا كيف يوجهون الضربات الى اليابانيين ، ونحن نسمع من انحاء الولايات المتحدة اصواتا تطالب بالبدء بالهجوم على المراكز اليابانية مما يدل على ان القوم واثقون من كفاية استعداداتهم . والامر الثانى ان اليابانيين لم يستطيعوا الحصول على ما كانوا يريدون من الاراضى التي احتلوها بثمن باهظ ، فقد كانوا يطمعون فى الاستيلاء على آبار النفط ومزارع المطاط والثروة الزراعية لكن الحلفاء لم يتركوا لهم شبراً من الارض دون تخريب .

والنقطة الرئيسية التي استرعى اليها الانتباه هى ان القوتين ، الالمانية واليابانية لن تتحدا ابداً ، اذ لايوجد مجال الاتصال احداهما بالاخرى حتى يكونا خطراً داهماً اذ تفصل بينهما البحار البعيدة التى تسيطر عليها بريطانيا والولايات المتحدة واذا كانت خطة الحلفاء فى اوروبا قائمة — قبل الهجوم الروسى الاخير — على ارهاق القوى الالمانية وتكبيدها افدح الخسائر ، حتى بدا عليها الوهن والتفكك ، فان هذه الخطة هى الاجدى فى الاتباع والتنفيذ في الشرق الاقصى ومتى بدأ عليها الضعف لكثرة مايصيبها من الخسائر ، اغتنم الحلفاء الفرصة وشنوا هجومهم المعاكس وما احسب ان موعد هذا الهجوم بعيد بل ربما تم فى مدة اقصر مما استلزمه تحطيم القوة الالمانية فى اوروبا لان اليابان لم تبلغ من الاستعداد مابلغته المانيا التي لم تشتبك في حرب طويلة قبل هذه الحرب مباشرة كما فعلت اليابان في الصين .

وعلى العموم نرى معظم شعوب الارض مصطلية بنيران هذه الحرب ، حتى الدول المحايدة اصيبت بشررها وشرورها ، وفاقت ويلات هذه الحرب كل الحروب التى سلفتها ، فأصبح من حق العالم اجمع أن يسعى الى الحيلولة دون تجدد هذه الويلات والقضاء على

فلسطين وحدنا، بل يتمتع بها اهل الشرق العربي كافة، وكلما تقدم الزمن كلما ابتعد عنا خطر النازية الرهيب. وتعتبر السلطات المتحالفة بلاد الشرق الاوسط جبهة خطيرة الشأن. وبالاخص ميدان ليبيا حيث استطاع البريطانيون الفوز بنجاح منقطع النظير في تحطيم معدات المحور التي حشدها لتهديد مصر والاقطار العربية. وقد سمعنا ما صرح به المستر اوليفر ليتلتون وزير الانتاج الجديد في الحكومة البريطانية الذي شغل منصب وزير الدولة، وكان الوزير صريحاً في قوله، اذ ايد نجاح القوات البريطانية في هجومها الاخير على ليبيا. والاخبار التي وردت في هذا الاسبوع عن ذلك الميدان غير كثيرة، لأن الاحوال الجوية الرديئة حالت دون القيام بعمليات حربية واسعة. ومع ذلك استطاع الطيران البريطاني ان يهدم الموانىء والاحواض في ليبيا وطرابلس، كما تمكنت القوات المتحالفة من صد دبابات المحور الى الجنوب والغرب، وطهرت اقساما غير قليلة من فصائله وافواجه. والامدادات كما يعلم كل واحد لم تنقطع عن تلك الجبهة والغاية من تلك الاستعدادات حماية اقطار هذا الشرق الحبيب من عدوان الديكتاتورية الغاشمة.

في ايران انتهت الازمة الوزارية وتألفت حكومة جديدة، والعراق مستقر مطمئن، وسوريا ولبنان كذلك، ومصر مقدمة على انتخابات نيابية هي اهدأ انتخابات عرفتها في تاريخها، وبالاجمال نرى ان البلاد العربية والشرقية ناعمة البال، تسودها السكينة والسلام. ونرجو ان تظل آمنة مطمئنة حتى تقوم بقسطها كاملا تجاه الانسانية والحق والعدل.

واذا كنت ايها القارىء شاعراً بالطمأنينة، بعيدا عن ويلات

اثارها ولهـذا نرى الخبراء ورجال السياسة معنيين فى دراسة الطرق المؤدية الى اصلاح العـالم ، وتنظيم العلاقات الودية بين الامم والشعوب تنظيما يمنع تجدد الـآمي الناجمة عن اعتداء الامم القوية على الامم القوية . وليس من شك فى ان اخطاء كثيرة ارتكبت بعد الحرب العظمى الماضية ، سواء فى معاهدات الصلح او فى الخطط الدبلوماسية التى تلتها . ولا سبيل الى توطيد دعائم السلم فى العالم الا بسحق قوى الطغيان اولا ثم جعل الثقة المتبـادلة اساساً لعلاقات الشعـوب بحيث يتمتع كل واحد بحقوقه كاملة وسيادته تامة ، ولا يفرض شعب ارادته على غيره ، ويصبح من حق الجميع ان ينعموا بخيرات الارض على اساس توزيـــع المواد الاولية توزيعاً عادلا . فيتسع الرخاء وتعم الحرية ويمضى العـالم فى سيره الهانىء الهادىء ، دون ان يلاقى ضغطاً وارهاقا ، ويعيش الافراد سعداء .

وقد عهدت الدول الديمقراطية الـكبرى كبريطانيا والولايات المتحدة الى احد وزرائها وعدد من خبرائها الاقتصاديين والسياسيين بمهمة درس موضوع « تنظيم العالم » ووضع البرامج المؤدية اليه ، والاتصال بالدول المناضلة فى سبيل الحرية واستطلاع ارائها والاتفاق معهـا على خطة مرسومة محددة ، بحيث تطبق هذه الخطـة بمجرد انتصار الديمقراطية وعقد الصلح

وما دامت هـــذه الحرب ، حربا بين عقيدتين متباينتين ، الاولى تريد الحرية للعالم اجمـع ، والثـانية تريد له العبودية ، فان انتصـار الاولى هو انتصار لجمـــيع الامم المستقلة والساعية الى الاستقلال . وبهذا الانتصار يحقق كل شعب ما يصبو اليه من حرية وسيادة ، ويتحكم بمقدراته كما تقضى به المبادىء الديمقراطية

الحرب فذلك كله بفضل بريطانيا ومساعداتها وعطفها الصادق، فمن واجبك اذن ان تقف في صفها، تقاوم اخصامك واخصامها وتدفع العدوان عن مثلك العليا ومقدساتك ووطنك، وتضع الحجر الاساسي فى صرح حريتك وحرية اخوانك ابناء الانسانية، بل من واجبك ان تقاوم اولئك الالمان الذين كانوا السبب فى نشوب هذه الحرب وما جرته من ويلات وازمات فى كل مكان.

والى اللقاء فى الاسبوع القادم

...

